الدور الثقافي للعامة بالمغرب الأقصى في عصر المرابطين ٤٤٨هـ - ٥٤١هـ / ١٠٥٦م - ١١٤٦م

عمرو الصاوى محمد
باحث ماجستير- قسم التاريخ- كلية البنات- جامعة عين شمس - مصر
academy_azhary@yahoo.com

أ.د/ عبدالرحمن بشير
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية – قسم التاريخ- كلية الاداب - جامعة الزقازيق - مصر
abdelrhman1957@hotmail.com

أ.م.د/ أمال محمد حسن
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد - قسم التاريخ - كلية البنات - جامعة عين شمس - مصر
dr.amalmohamed49@yahoo.com

المستخلص:

اتخذ قدامى أهل القلم ومُحْدَثُوهُمْ المعيار المادي من كسب وسعة مال، كأساس للتصنيف الطبقي. لذلك وضعوا العامة - بحكم افتقادهم للثروة: العامل الأساسي في صياغة الوضع الاجتماعي للفرد وتحديد هويته الطبقية - في أسفل التصنيف. واتخذوا من وضعهم في أسفل السلم الاجتماعي مسوغا للتحامل عليهم واتهامهم بجملة من التهم من بينها: الجهل. حيث تصوروا أن العامي قد يكون أي شيء. صانع ماهر أو حرفي متميز أو تاجر موهوب، لكن ليس عالما أو طالب علم. وهو ما سيحاول الباحث ضحده في الصفحات التالية، والتأكيد من خلالها على أن العامة - بالعكس - اشتملت صفوفهم على طلاب متميزين، وعلماء أفزاز أسهموا ليس في مجرد نشر فنون العلم فقط، بل وكفالة بني طبقتهم وتبنيهم علميا. بخلاف الدولة التي كانت - في الغالب - حريصة على استدعاء أعيان كتاب الأندلس، والاستعانة بأطبائها والاستفادة بخبرة مهندسيها وصناعها، من حرصها على تبني مؤسسة علمية وكفالة طلابها، على غرار المدارس النظامية التي تبنتها الدولة بالشرق الإسلامي أو مصر خلال الحقبة نفسها.

الكلمات الدالة: العامة - المرابطين - المغرب الأقصى - علم - الوضع الثقافي - الدور العلمي.

المقدمة:

يتناول البحث الدور الثقافي لطبقة العامة في عصر المرابطين (٤٤٨هـ - ٥٤١هـ / ١٠٥٦م - ١١٤٦م). لكن قبل الخوض في ذلك تعرّض الباحث للتعريف بمصلح العامة. وكيف أنها كانت تشتمل في بنيتها - كطبقة - على فئتين، تَشكّل منهما مجتمع العامة برعاته وفلاحيه، وصناعه وحرفييه، وأيتامه ومهمشيه، وكذلك مستنيريه الذين احتسبوا مساهمتهم في كفالة وتبني بني طبقتهم علميا، للتعويض عن تقصير الدولة في هذا الميدان.

حيث اقتصرت مساهمة المرابطين ـــ من وجهة نظر الباحث ـــ فقط على توفير الأسباب. فقد بنوا المســاجد وضــمنوا الأمن ووفروا الاســتقرار وقربوا حملة الفقه، وأتاحوا فرص العمل الكفيلة بالارتقاء بشــاغليها في سـلم الترقي الطبقي، لكن دون أن يشـغلوا أنفسـهم بتفقيه أيا من كان أو تهيئته لأي عمل. بل تركوا عبء ذلك على عواهل المتشــوفين الذين اجتهدوا في ســبيل تعليم أبنائهم، وتثقيف أنفســهم ليحظوا ولينالوا العمالات والخطط. كذلك لفت الباحث النظر إلى أن تركز اهتمام العامة على العلوم الدينية من قرآن وحديث وتفســير، لا يمنع من أنه كان لهم خبرتهم الكيميائية، وملاحظاتهم الفلكية، ومعارفهم الطبية المستفادة بالتجربة والمكتسبة بالخبرة.

أهداف الموضوع:

تتخلص أهداف الموضوع في محاولته إثبات وتأكيد الدور الثقافي لعامة المغرب الأقصى في عصر المرابطين، وإبراز جهود المثقفين المنتمين لذات الطبقة في التعويض عن دور الدولة، من خلال كفالتهم لبني طبقتهم وتبنيهم علميا. والكشف عن العلوم التي اهتموا بدراستها، وأوجه مساهماتهم بها.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضــوع في محاولته الدفاع عن الفئة لا طالما كيلت لها الاتهامات، وإبراز الدور لا طالما غُيِّب وأنكر وجوده من الأســاس، ألا وهو الدور الثقافي للعامة بالمغرب الأقصــى في عصــر المرابطين.

إشكالية الموضوع:

تمثلت إشكالية الدراسة في تقديم الدليل على ما افترضه الباحث من حيث:

- اقتصار مساهمة المرابطين فقط على خلق الفرص الدافعة وتهيئة الأسباب الموافقة لإلقاء العلم.
- إسهام مثقفي العامة في التعويض عن دور الدولة الغائب من خلال كفالتهم لبني طبقتهم وتبنيهم علميا.
- مشاركة العامة في جل ما كان يعرف زمنئذ من علوم نقلية وعقلية .

المنهج المتبع في دراسة الموضوع:

عول الباحث في دراسة الموضوع على المنهجين الوصفي والتاريخي. حيث اعتمد عليهما في جمع المادة التاريخية من مظانها ودراســاتها دراســة تحليلية وتوظيفها في الإجابة على إشــكاليات الدراســة وتساؤلاتها.

الدراسات السابقة:

اعتمد الباحث على عدد من الدرسات السابقة التي اشتملت بعض فصولها على مباحث خاصة بعامة المغرب في عصــر المرابطين، من بينها كتابي الدكتور إبراهيم القادري بوتشــيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصــر المرابطين، والمغرب والأندلس في عصــر المرابطين - المجتمع الذهنيات الأولياء. وكتاب المهمشون في التاريخ الإسلامي للدكتور محمود إسماعيل.

خطة الدراسة:

تكونت الدراسة من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة وقائمة بمصادر الدراسة ومراجعها. تضمنت المقدمة الإطار النظري للدراسة من حيث: أهمية الموضوع، وأهدافه، وإشكاليته، والمنهج المتبع في دراسته، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة. جاء المبحث الأول كمدخل لتعريف العامة وتحديد فئاتهم وموقف الطبقة المثقفة العدائي منهم. وعرض المبحث الثاني لعناصر العامة. والثالث لدور العامة الثقافي. والرابع لأهم العلوم العقلية والنقلية التي نبه بها العامة. أما الخاتمة فقد تضمنت الخلاصات والنتائج التي انتهى إليها الباحث.

ـ المبحث الأول: تعريف العامة:

العامة هم خلاف الخاصة، سموا بذلك لكونهم: "كثيرين لا يحيط بهم البصر". ولا غروا فقد عَرَّفَ اللغويون عن لفظ العامة بأنه: "اسْمٌ لِلْجَمْعِ..، فيُقَالُ: رجلٌ عُمِّيٌّ وَرَجُلٌ قُصْرِيٌّ، فالعُمِّيُّ العامُّ، والقُصْرِيُّ الخاص"، و"العَمَاعِمُ: الجماعاتُ من الناس، واحدُهُم عَمٌّ". (ابن منظور، ١٤١٤، ج١٢، ص.٤٢٦؛ الصفدي، ١٩١١، ص.١٠؛ ابن سيده، ١٩٩٦، ج١، ص.٣١٥).

اشتملت طبقة العامة في بنيتها ـــ حسبما يستشف من النصوص ـــ على فئتين: نخبة العامة الذين تبوءوا قمة الهرم الاجتماعي للطبقة، وخساس العامة الذين استقر بهم المقام في قاعه. شفعينا في ذلك تقسيم **ابن أبي الربيع** للعامة إلى نوعين: أولهما التجار وأهل المراتب، الذين تميزوا بالكسب الدائم والدخل المعتدل والسيرة الحسنة، والآخر السوقة والجمهور: "وهي أدنى المراتب، وهي مبذولة لكل دنيء النفس" (١٩٩٦، ص.٨٣)؛ وتَفْييء **الجاحظ** المجتمع إلى فئتن: المياسير وأهل الثروة، والعوّام والحشوة. (د.ت، ص.٨٧).

ويدفع في الاتجاه ذاته ما ذكره **المقري** عن قيام فقراء العامة لا كلهم بالكتابة على حيطان جامع الفسطاط بالفحم والحمرة (١٩٦٨، ج٢، ص.٣٤١)؛ وما ذكره **ابن سعيد** عن إساءة شخص من جهال العامة لا جميعهم للرعيني (ت٤٣٥هـ) قاضي المرية (١٩٩٥، ج٢، ص.٢٠٧)؛ وما ذكره **ابن عذارى** عن التماس الجزيري (الثائر) جهال العوام فقط ليدعوهم إلى حركته، وتصديق المستضعفين من العوام وحدهم في أخباره المستحيلة (١٩٨٥، ص٢٠٧ ـــ ٢٠٨). فهذه الشواهد وغيرها تنهض دليلا على اشتمال تلك الطبقة على فئتين اندرجتا تحت مصطلح أشمل، هو العامة: عامة ذو دخل معتدل وأخلاق سوية، وحشوة من الفقراء والمستضعفين والجهال.

وقد وقفت المصادر ـ **بأنواعها** ـ من طبقة العامة ـ **بشقيها** ـ موقفا معاديا، فكالت لهم الشتائم وصبت عليهم اللعنات، ووصفتهم بأخس الأوصاف وأحط النعوت، وبالغت في وصف ضررهم وتجسيم خطرهم. فوصفتهم المصنفات التاريخية بالجهل وقصر الفهم (ابن حبوس، ٢٠٠٦، ص.٢٧)؛ وبكونهم سوقة (ابن القطان، ١٩٩٠، ص.١٥٩)؛ وأوباش (ابن عذارى، ١٩٨٥، ص.٢٠٧ ـــ ٢٠٨)؛ ورعاع (ابن القلانسي، ١٩٠٨، ص.٢١٥)؛ وفسقة وأغمار ولصوص (مجموع رسائل موحدية، ١٩٤١، ص.٢٠٢). واتهمتهم كتب الفقه والنوازل والفتاوى بالجهل في أمور دينهم (ابن الحاج، د.ت، ج١، ص١٥٦)؛ وبالتصحيف والتحريف في كتاب الله (عبد القادر الفاسي، ٢٠٠٧، ص.٢١٣). ووصفتهم كتب السياسة بالسوقة والضعفاء، واتهمتهم باللؤم والسفالة (المرادي،٢٠٠٣، ص.٤٥ ـــ ٤٦، ١٠٢)؛ والشر، والفساد والظلم والهرج، والعيارة واللصوصية، والكذب والتصنع والملق والمراءاة والمزاح والمهاترة. (الطرطوشي، ١٩٩٤، ج١، ص٢٠٠ ـ ج٢، ص.٥٧٣).

كذلك صورهم البعض كدعاة للفتنة وحملة للوائها، **كالسرّاج** (١٩٨٤، ج١، ص.٣٩٦)، **والمسعودي** (٢٠٠٥، ج٣، ص٣٥)، اللذين اتهموهم بأنهم همج رعاع أتباع لكل ناعق. **وابن الأزرق** الذي أكد أن وجوههم لا ترى إلا عند الشر، وأنهم إذا اجتمعوا ضروا (٢٠٠٨، ج٢، ص.٨١٩)؛ **والطرطوشي** الذي وصف تحينهم ساعات الخلل لإثارة الفوضى، وإيقاع الفتنة والهرج، بقوله: "وفي زوال السلطان أو ضعف شوكته، سُوق أهل الشر، ومكسب الأجناد، ونفاق أهل العيارة والسوقة واللصوص والمناهبة" (١٩٩٤، ج١، ص.٢٠٠).

ـ المبحث الثاني: عناصر العامة:

ضمت طبقة العامة شرائح اجتماعية متنوعة، ممن كانوا يعملون بأبدانهم وأدواتهم، مقابل الأجر التافه اليسير (إخوان الصفا، ١٤٠٥هـ، ج١، ص.٢٨٥؛ ابن حيون، ١٩٩٦، ص.٥٣)، من بينهم:

أ: الفلاحون والرعاة: عانى رعاة المغرب وفلاحوه ظروفا اجتماعية مزرية، نتيجة لتضافر عوامل عدة أسهمت مجتمعة ومنفردة في الحط من وضعيتهم، وإجبارهم على مكابدة حياة الفاقة والفقر المذل. كالسياسة الجبائية المجحفة، والكوارث الطبيعية، والتقلبات والفتن السياسية التي كانت تزر بقرنها ما بين الفينة والأخرى. (بوتشيش، ١٩٩٨، ص.٢٠٤ ـــ ٢١٠؛ عبد الرءوف، ٢٠٠٥م، ص.١٨٨ ؛ ابن الذيب، ٢٠٠٩، ص.١٣٦).

ب: الحرفيون والصناع: عاشوا كسابقيهم تحت رحمة أرباب المهن المالكين لوسائل الإنتاج. وقبضوا أجورا لا تغني ولا تسمن من جوع (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص١٩٧؛ ابن قنفد، ١٩٦٥، ص١٠١؛ بوتشيش، ١٩٩٨، ص.١٧٢). ما اضطرهم للغش والمماطلة في إنجاز ما التزموا للناس بصناعته، وأحوجهم للجمع بين مهنتين وأكثر، وأرغمهم على الاشتراك مع غيرهم من أبناء مهنتهم في حانوت واحد، أو ممارسة حرفهم في بيوتهم. (السقطي، ١٩٣١، ص.٦٢؛ التميمي، المستفاد، ق٢، ص.١٣٦؛ الجزيري، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص.٣٤٦؛ مجهول، د.ت، ص.١٨٨).

ج: صغار التجار: اشتملت تلك الشريحة على قطاع عريض من المنتمين لطبقة العامة، لِمَا كانت تمثله التجارة ـ كما عبرت أمثالهم ـ من ضمان من الفاقة والفقر ومكابدة نوائب الدهر. وقد مارس هؤلاء نشاطهم داخل حوانيت كانوا يكترونها بإحدى القيساريات أو الأسواق، سواء الثياب أو القراقين، أو الخرازين، أو غيرها. بيد أنه من كان يعجز عن كراء حانوت يباشر فيه تجارته، كان يضطر إما لافتراش الأرض داخل السوق، وإما للتجول ببضاعته في الطرقات والتطواف بها على البيوت ودخول الأزقة وسلوك المواضع البعيدة. (الزجالي، ١٩٧٥، ج٢، ص.٦٩، ٣٦٤؛ ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٣٩٣، ٤٤٧؛ ابن القطان، ١٩٩٠، ص.٢٦٨؛ التميمي، ٢٠٠٢، ق٢، ص.٦٤؛ ابن الحاج، د.ت، ج١، ص.١٠١).

د: الأجراء والأكرة : اشتملت تلك الشريحة على قطاع عريض من المنتمين لطبقة العامة، على نحو أكثر اتساعا وتنوعا ربما من كل ما سبقها من الشرائح، والسبب في ذلك كما شرح **العباسي** راجع إلى أنه: "ما من صنف من الأصناف إلا ويستغني أهل المدينة عنهم إلا الأكرة فإنه لا غناء لأحد عنهم". (١٩٨٩، ج١، ص١٣٥).

هـ: المستنيرين: يرى الباحث أنه لا بأس في الاعتقاد بصحة وصف بعضهم لبعض العامة بالجهل (ابن عذارى، ١٩٨٥، ص٢٠٧)، ولكن البأس كله يكمن برأيه في تعميم هذا الحكم. لأن صفوف العامة كما اشتملت على سفهاء وجُهَّال؛ ضمت كذلك مستنيرين كُثر، حاولوا في تعليم هؤلاء الجهال وأبنائهم، وأسهمو في الفصل والقضاء بينهم، والتفريج عنهم (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٥٨)، وأَمِّهم وقيادة شعائرهم، وكتابة وتوثيق عقودهم. إلى غير ذلك من المهمات التي قاموا بها إحتسابا أحيانا، ومقابل أجر تافه يسير لا يغني

ولا يسمن من جوع أحايين أخرى. وإن شئت فانظر لإشارات المصادر للفقهاء والمتصوفة والمعلمين ومؤدبي الكتاتيب (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٠٦، ١٤٧، ١٨٤، ١٨٧، ٢٧٢ ؛ التميمي، ٢٠٠٢، ق٢، ص.٥٨، ١٣٧، ١٤٤، ١٥٨). وإشاراتها للنساخ، وكتاب العقود والموثقين؛ وكذلك الأطباء الذين كانوا يقدمون خدماتهم داخل حوانيت خاصة بهم. (التميمي، ٢٠٠٢، ق٢، ص.٧٤، ١٤٧؛ ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٢٦٩، ٢٨٠).

ـ المبحث الثالث: الدور الثقافي للعامة:

لن يناقش الباحث أقوال من وصموا حياة المرابطين الفكرية بالنضوب والاضمحلال والجمود، ولن يلتفت لمبالغاتهم في وصف ما اعتبروه حجرا للفكر وتقييدا له واضطهادا لأهله، لئلا يحيد عن غرض البحث الأساسي، ولأنه يرى في الثراء الفكري والزخم المعرفي الذي أنتجته قرائح العامة وغيرهم، نتيجة تأثرهم ـ غالبا ـ بالأعراض الجانبية لسياسة عواهل المرابطين العسكرية والدينية وشجاراتهم الفكرية، ردا كافيا.

بالفعل، فالمرابطين ـــ من وجهة نظر الباحث ـــ لم يدعموا الحركة الفكرية بشكل مباشر، بقدر ما تسببت أعراض سياستهم الجانبية في دعمها ودفعها خطوات واسعة إلى الأمام. فمثلا كان لقيام دولتهم على أساس ديني (عدة، ٢٠١٤، ص.٤٢ ـــ ٤٥)، وما ترتب عليه ذلك من اهتمامهم بتوسعة المساجد (كالقرويين وسبتة) وبنائها، في جل المدن التي فتحوها أو أقاموها، إما على نفقتهم (كالطوب والسقاية اللذين بناهما يوسف وعلي إبنه)، وإما بإجبار أهل تلك المدن على بنائها (كما حدث بفاس) أثره في اجتذاب الكثير من الفقهاء والمحدثون ورجال الفكر وأرباب الأدب، لعقد حلقاتهم بتلك المساجد، لتواصل المساجد القديمة من خلالهم تأدية دورها في نشر العلم وتفهيمه، ولتخطوا المساجد الحديثة بواسطتهم أولى خطوات بث رسالتها الجليلة.

كالقرويين الذي استمر يقدم خدماته العلمية منذ أيامه الأولى، وحتى عصر المرابطين الذي صار فيه لا مجرد مسجد بل جامعة. وكالسقاية (جامع علي بن يوسف)، الذي شرع منذ بنائه (٥٢٥هـ/١١٣٠م) في مباشرة دوره الثقافي، ومساهمته في تهذيب العلوم وتقديمها إلى جانب القرويين. (ابن أبي زرع، ١٩٧٢، ص.٥٩ ـــ ٦٠، ١٣٨، ١٤١؛ مجهول، ١٩٧٩، ص.٧٢؛ الإدريسي، ٢٠٠٢، ج١، ص.٢٣٤؛ ابن القطان، ١٩٩٠، ص.١٦٦؛ ابن المؤقت، ٢٠١١، ص.٢٠؛ التازي، ٢٠٠٠م، ج١، ص.٦٦ ـــ ٦٧؛ التريكي، ١٩٨٩، ص.١٥٦؛ الكتاني، د.ت، ج٢، ص.٤٢٤ ـ ٤٢٦، ٤٢٨؛ السائح، ١٩٨٦، ص.١٨٧؛ الكتماني، ١٩٩٤م، ص.١٣٩) ٠

كذلك كان الأمن والاستقرار اللذين تولدا عن إحكام سيطرتهم على المغرب والأندلس، وإخماد نار العصبيات، وإماتة المذاهب، سبباً في خلق الأريحية اللازمة لتلقي العلم ونقله، وفي تشجيع ــ أيا من كان ـ على الانتقال للمغرب الأقصى دون قيد على حد تعبير **أوليري** (١٩٨٢، ص.٢٠١)، لنشر العلم أو تلقيه عن أهلها والطارئين عليها؛ كعالم الحديث أبو عبد الله الَبْيَراقيُّ، الذي: "انتقل قديما من بلده [قلعة أيوب] لنائرة العدو، فاستوطن مدينة فاس إلى أن توفي بها بعد الأربعين وخمسمائة"، وغيره. (ابن عبد الملك، ٢٠١٢، ج٤، ص.٦٢؛ ابن القاضي، ١٩٧٥، ق١، ص.٢٥٨؛ ابن الآبار، ١٩٩٥، ج٣، ص.٢٤).

كما كان لإتساع رقعة دولتهم، وامتداد نفوذهم السياسي، وتشعب علاقاتهم الخارجية. وما ترتب على ذلك من تطور للنواحي الإدارية. وما استلزمه هذا التطور من استخدام عدد كبير من الوزراء والكتاب والإداريين برسم تسيير دفة الحكم. دوره في إذكاء روح المنافسة بين الكتاب على تلك المناصب، وحثهم على التبحر العلمي والتعمق الفكري، ولاسيما بمجال الكتابة وفنون الأدب، ليرقوا ولينالوا تلك المناصب المرموقة في البلاط أو بديوان الإنشاء. (الهرفي، ١٩٨٢، ص.٣٧٧؛ الوداني، ٢٠١٢، ص.١٣٨).

كذلك كان لتأثرهم بمنهج داعيتهم ابن ياسين ـــ الذي كانت نزعته لعلم الفقه أقوى منها إلى أي علم آخر - من حيث تقريبهم للفقهاء، وتحكيمهم في نوازلهم، وصدورهم عن رأيهم، وصرف الأمور إليهم، إلى آخر ذلك من التعبيرات المستخدمة لوصف مكانتهم (المراكشي، ١٩٦٣، ص.٢٣٥ ـــ ٢٣٦؛ مجهول، ١٩٧٩، ص.٨٢، ٨٥؛ ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص.١٣٧)، سببا في رواج كتب الفقه، وإقبال العامة على تعلمه. لِيَحْظَوا، ولينالوا بدورهم به الخطط والعمالات، على حد قول **عبد العزيز التونسي**، الذي ترك تدريس الفقه اعتراضا على تلامذته الذين أخذوا الفقه عنه: "ثم عادوا إلى بلادهم فسادوا في أقوامهم بما تعلموه من الفقه، وصاروا قضاة وشهودا وخطباء وغير ذلك من المراتب". (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٩٣)

وليس هذا بدعا من القول، فقد سبق وأجمل **الجراري** (١٩٩٣، ص.٩٩) ما أسلفه الباحث بقوله: "أما بالنسبة للنقطة الثانية [يقصد الخاصة بعوامل نهوض الفكر في عهد المرابطين]، فإنه يجدر التنبيه إلى أن الثقافة عرفت نهوضا يرجع إلى الأسباب الآتية: ١ـ قوة الدولة وما نتج عن هذه القوة من أمن واستقرار ٢ـ الوحدة مع الأندلس ٣ـ إنشاء مراكز علمية جديدة كجامع ابن يوسف في مراكش، وتوسيع المراكز القديمة كالقرويين ومدرسة سبتة... ٤ـ شغف المرابطين بالثقافة وعنايتهم بها وتقريبهم لأعلامها".

لكنه لمَّا كان دور المرابطين مقتصرا - في الغالب - على إنتاج الأسباب. فمن باشر إذا نشر العلم، وإثراء الفكر، وإزخام المعرفة؟

يرى الباحث أن العامة الذين قاموا في المكاتب، وجلسوا في المساجد، وبذلوا غاية وسعهم في سبيل نشر العلم وبث فوائده وتسهيل أسباب تحصيله، هُم من قاموا بذلك. حيث دلت النصوص، على خلاف ما هو شائع في مصادر الفترة محل الدراسة، من حيث التأكيد على قِصر فهم العامة وجهلهم وضعف عقلهم (ابن حبوس، ٢٠٠١، ص.٢٧؛ ابن حيون، ١٩٩٦، ص.٥٩؛ النباهي، ١٩٨٣، ص.٣٧)، أن فريقا من عوام المغرب حرصوا على إيراد أبنائهم المكاتب، وعلى استئجار المؤدبين لهم ليعلموهم القراءة والكتابة، حتى وإن كانوا فقراء أو مَداينين مفلسين؛ وعلى متابعتهم عن طريق الاتصال بمؤدبيهم والاستفسار عن سلوكهم، وإيصائهم بتأديبهم واستعمال الشدة معهم إذا قصروا في الحفظ أو أَخَلُّوا بالأدب، لَمَّا رأوا أن: "ضرب المعلم للصبي كالماء للزرع".(ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٣٧، ٢٧٢؛ الوزاني، ١٩٩٨، ج٦، ص.١٦٤؛ الزجالي، ١٩٧٥، ج١، ص.٢٣٣).

ودلت كذلك على تمرد أبناء هؤلاء الذين اضطرتهم أوضاعهم المالية المتدنية للحد من طموحات أبنائهم العلمية، ورفضهم الرضوخ لاختيارات آبائهم المتعلقة بتعلم حرفة تعينهم على المساهمة في سداد نفقات الأسرة. كأبي العباس السبتي الذي حكى عن تحديه لشدة أمه وإصرارها على احترافه البِزَازَة، قائلا: "كانت أمي تحملني إلى البزازين، فأفر منهم إلى مجلس أبي عبد الله الفخار، فتضربني". (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٤٥٩؛ السملالي، ١٩٩٣، ج١، ص.٢٤٢). وتكشف بقية قصته عن دور العامة، لا في مجرد نشر العلم، بل وكفالة أبناء بني طبقتهم وتبنيهم علميا، سيما لو كانوا على شاكلة أبي العباس السبتي في تشوفه للعلم وتطلعه للمعرفة. حيث قال الرجل لأمه: "أتركيه وأنا أدفع لك قدر أجرته، وأدفع عنك للمعلم الذي يُقرئه أجرته"، ثم أَقْعَدَه بين يديه ـــ بعدما أَتمَّ حفظ القرآن ـــ لِيُقرأه كُتب الأحكام. (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٤٥٩؛ التنبكتي، ١٩٨٩، ص.٧٠)

وتكشف كتب التراجم أن ما فعله أبي عبد الله الفخار لم يكن مجرد حالة، بل إتجاه. حيث عمد غيره وفقها لتحفيظ كتاب الله وتعليم دينه، ديانة واحتسابا. كابن يسول الذي أقرأ القرآن محتسبا لله دون أجرة عليه؛ وابن ويحلان الذي درَّس الفقه ثلاثين سنة محتسبا مع شدة فقره وحاجته؛ وأبو عبد الله التاودي، الذي كان يعلم أولاد الفقراء، ويغسل ثيابهم ويخيطها دون أن يأخذ على ذلك أجرا؛ وأبي الفضل بن

النحوي الذي كان لا يقبل من أحد شيئا؛ وأبو عمرو السلالجي الذي انتصب لتعليم العلم محتسبا إلى أن لحق بالله تعالى. (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٠٠، ١٤٧، ٢٠٠، ٢٧٢، ٢٩٤)، وأبو عبد الله بن الرمامة الذي: "أقبل على نشر العلم، والجلوس للإقراء والإسماع، محتملا مشقة التدريس، رغبة في بث العلم وتحريضا وإعانة لملتمسيه" (ابن عبد الملك، ٢٠١٢، ج٥، ص.٢١٩)، وأحمد بن لب السلاوي، الذي كان يُقرء الناس النحو، ويأخذ الأجرة ممن شارطه على ذلك فيعطيها للفقراء ممن يحضر عنده من طلبته (التميمي، ٢٠٠٢، ق٢، ص.١٤٤)؛ وابن الصقر الأنصاري الخزرجي نزيل مراكش، الذي رفض عرض أحد سراة لمتونة عليه، قائلا: "والله لو أعطيتني ملء الدنيا على أن أخرج عن طريقي وأفارق ديدني من خدمة أهل العلم ومداخلة الفقهاء والانخراط في سلكهم، ما رضيت". (ابن عبد الملك، ٢٠١٢، ج١، ص.٤٠٨). وحتى إذا كان بعض من ذكرناهم آنفا باشر التدريس بعهد الموحدين، فشبابهم قضوه بعصر المرابطين، وأدبهم وقيمهم ومُثلهم استقوها واعتنقوها من وعن وعلى يد علماء منتمين لعصر المرابطين.

صحيح تقاضى بعض المؤدبين والمدرسين أجرا نظير جلوسهم أو انتصابهم لتدريس ما كان لديهم من المعارف، بل ولم يتسامحوا مع أحد في القراءة عليهم إلا مقابل جُعْل يستأدونه منه (ابن عبد الملك، ٢٠١٢، ج٣، ص.٢٧٠) ؛ لكن هناك أيضا من: "كان يُعلِّم الصبيان، فيأخذ الأجرة من أولاد الأغنياء، ويردها على أولاد الفقراء"، ومن تصدق: "بجميع ما اكتسب في وقت التعليم خوفا من أن لا يكون وفيَّ بما عليه من الحقوق" (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٨٧، ٢٧٢)؛ ومن كان يُقرء الناس النحو: "ويقبل الإجارة على ذلك ممن أعطاه من غير مسألة، فإذا أخذ ذلك ممن يدفعه له أعطاه للفقراء" (التميمي، ٢٠٠٢، ق٢، ص.١٤٤). ناهيك عن أن أجرة أمثال هؤلاء المؤدبين والمدرسين المنتمين لطبقة العامة والمتعاملين معها، كانت رمزية لا اشتطاط فيها؟! وإلا كانت انعكست على ملابس بعضهم الخلقة التي كانت بالكاد تسترهم، هذا أولاً. أما ثانيا: فلأنهم لم يجلسوا من أجلها بقدر ما جلسوا لتعليم كتاب الله. بدليل قول أحد المؤدبين: "إني وإن كنت آخذ منهم الأجرة، لم أجلس من أجلها، وإنما جلست لتعليمهم كتاب الله". (التميمي، ٢٠٠٢، ق٢، ص.١٣٨؛ ابن العريف، ١٩٩٣، ص.١١٥). مما اضطر بعضهم - كسبا للعيش - للعمل بمهن أخرى إلى جانب التعليم والتدريس. كقيام أحدهم ببيع العشب، إلى جانب تعليمه للقرآن وإقراءه للنحو؛ وقيام آخر ببيع حُصر الصلاة التي كان يصنعها بنفسه، إلى جانب إقراءه للقرآن (ابن القاضي، ١٩٧٣، ق١، ص.٩٠؛ ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٢٩٤)؛ وقيام ثالث ببيع القرق (صندل قاعدته الداخلية من خشب الفلين) بسبتة، إلى جانب تصدره لإقراء العربية والقراءات وإسماعهما (ابن الآبار، ١٩٩٥، ج٣، ص.٥٢؛ دورزي، ١٩٧٣، مج٣/١٠، ص.١٧٩ ـ ١٨٠). إلى آخر ذلك من الأمثلة الدالة على تحرف بعض المعلمين لحرف تكفيهم، وتعفي طلبتهم من أن يكون رزقهم إحدى قضاياهم.

لماذا؟ لأن رعاية رواد العلم ومريديه ـ **رعاية صُنع لا اصطناع** ـ لم تكن حتى ذلك الوقت من عُمر المغرب الأقصى، من أولويات الدولة ولا بين اهتمامات عواهلها. فلم يعرف المغرب المدارس الرسمية التي ترعاها الدولة، على غرار المدارس في الشرق الإسلامي أو مصر خلال الحقبة نفسها، ولا كان الطالب بالمغرب يحصل على جراية من الدولة كنظيره في المشرق الإسلامي (بوتشيش، ١٩٩٣، ص.٦٣؛ بوتشيش، ١٩٩٨، ص.١٨٤). وحتى المرة الوحيدة ـــ على حد علم الباحث ـــ التي أشير فيها لدعم المرابطين لِطُلاَّب عِلم، كانوا طلاب المصامدة، الذين ما انفكوا يُدارونهم ويصطنعوهم، ويوصوا ولاة عهودهم بعدم تهييجهم (ابن أبي زرع، ١٩٧٢، ص١٢٦؛ مجهول، ١٩٧٩، ٨٢ ـــ ٨٣). وما أشبه ذلك بما حدث بأغمات، فقد بعث علي بن يوسف - لما زارها - إلى اثنين من أفاضل علمائها وأكثرهم زهدا، ألف دينار لكل احد منهما، لكن ليس دعما لهم، ولا برا بمريدهم أو وصلا لطلبتهم. وإنما مهادنة واحتواء لهم، بعدما عجزت قدرة

السلطة عن الاستمرار في أسلوب مواجهتهم، لما يتطلبه هزم نفوذهم الروحي من طاقات كبيرة. (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٤٥؛ بوتشيش، ١٩٩٣، ص.١٥٤).

فبخلاف ما أشار إليه الباحث - حسبما انتهى إليه علمه - لم تُصرف: **"الأجور"** للعلماء والفقهاء كما تصحفت اللفظة عند أحد الباحثين (عيساني، ٢٠١٢، ص.٦٨). بل صرفت إليهم: **"الأمور"**، حسب نفس مصدره (مجهول، ١٩٧٩، ص.٨٢). ولا أجريت على الطلبة الأرزاق، ولا صرفت لهم الجرايات؛ بل كانت مصاريف الدراسة شأنهم، وتنقلاتهم وإقامتهم على حسابهم. (ابن خلدون، ٢٠٠١، ج١، ص.٥٥١؛ ابن الآبار، ٢٠٠٠م، ص.٢٩٤؛ بوتشيش، ١٩٩٨، ص.١٨٤).

اللهم ما كان من أبناء الطبقة الوسطى الذين دعموا العلم وساندو طلابه بما أوصوا به لهم، وأوقفوه وحبسوه عليهم من أموال وكتب وضيعات. حيث ورد في نوازل الفترة بعض التفاصيل عَمَّن أوصى بجنان معين لطالب في مرضه الذي توفى منه. ومن حبّس كتبه على طلبة العلم الذين بالعدوة. ومن أوصى قبل وفاته بوقف سبعين مثقالا مرابطية من تركته، لتنفق على طلبة سبتة وأهل العلم بها (القاضي عياض وولده محمد، ١٩٩٧، ص.١٨٤ــ ١٨٥؛ ابن بشكوال، ٢٠١٠، ج٢، ص.١٩٠؛ كريمة عبد الرءوف، ٢٠٠٥، ص.١٩٦)، وهو شيء لم يخرج من الدولة ولا التفتت إليه. و هذا ليس رأي الباحث وحده، فقد أكد أحد الباحثين المتخصصين أنه لم يجد من خلال استقراءه لما تيسر له من كتب التاريخ المغربي، ما: "ينص على أن الأوقاف كانت موردا لمركز تعليمي، ولاسيما في مطلع دولة المرابطين" (بوركبة، ١٩٩٦، ج١، ص.٥٨ - ٥٩). وحتى أوقاف جامع القرويين التي سُحبت من أيدي النظار والوكلاء في عهد علي بن يوسف، للإنفاق منها على توسعة المسجد، لم تشر المصادر أيه إشارة للإنفاق منها على طالب ما أو معلم (الجزنائي، ١٩٩١، ص.٦٧)، ما يشي بأنها كانت وظلت مخصصة للإنفاق على المعمار لا العُمَّار.

بيد أن حرمان العامة مما حظى به أبناء الخاصة، لم يمنع بعض العامة من الوصول إلى مراتب العلماء ومدارج النبهاء في أغلب العلوم المعروفة وقتئذ. ويُلاَحَظُ أن الباحث تحاشى استخدام تعبير جل العامة، أو كثير من العامة: لأن من وصلوا منهم لتلك المرتبة، واستمروا يحسبون على طبقة العامة كانوا ــ بحسب ما تيسر للباحث من معلومات ــ قليلون؟ لأن قِلَّة مَنْ هُمْ أَهْلٌ لتولي العمالات والخطط ــ من بين المنتمين لكافة الطبقات ـــ جعلت الدولة لا تقع على كفء إلا وأسندت إليه ولو بالجبر (كما حدث مع ابن وشون وأبي عبد الله التميمي) إحدى الوظائف، التي كانت كفيلة بالارتقاء به في سلم التطور الطبقي (ابن القاضي، ١٩٧٣، ق٢، ص.٤١٩؛ أبو الفضل عياض، ١٩٨٢، ص.٢٨). ومن ثم كان إيجاد الباحث لعالم أو مفكر ما زال مستمرا في الانتماء لتلك الطبقة أمر غير هين. صحيح لم تخلوا ترجمة عالم مغربي أو وافد من ذكر أسماء عشرات من سمعوا منه وأخذوا عنه، ولكن هامشية أغلبهم جعلت اسمائهم هو كل ما يمكن معرفته عنهم والوقوف عليه بشأنهم، مما كان يعود بالباحث للمربع الأول. لكن هذا لا يعني خُلوا كُتب التراجم والطبقات البتة من الإشارة لعلماء ظلوا يحسبون على طبقة العامة، سواء من المغاربة، أو الأندلسيين الذين صاروا ـــ كما أكد ابن حزم ـــ مغاربة، بحكم هجرتهم واستقرارهم ووفاتهم بالمغرب؛ ولاسيما ممن لم يسعدهم طالعهم بتولي إحدى الوظائف المخزنية، حيث ظل أمثالهم: "يعانون من مدخول هذيل جعلهم في عداد العامة". (المقري، ١٩٦٨، ج٣، ص.١٦٤؛ بوتشيش، ١٩٩٨، ص.١٨١).

المبحث الرابع: أهم العلوم التي نبه بها العامة:

أما عن العلوم التي نبه بها العامة، الذين كانوا زمنئذ يَعتبرون كل من يَبحث في غير علوم الدين مارقا عن الدين (التواتي، ١٩٨٣، ص.٧٥)، فهي جل ما كان يعرف وقتئذ من علوم دينية. بل وشملت عنايتهم حتى العلوم التي تخلت عنها الدولة، ككتاب الله وحديث رسوله (صلى الله عليه وسلم)، الذي أكد **المراكشي**

أنه: "لم يكن أحد من مشـــاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء" (١٩٦٣، ص.٢٣٦). ولا غرو فشـهادته إلى جانب تراجم عشـرات المشـتغلين بهما، لا معنى لها إلا أنهم قَاموا بهذين العلمين. وحسـبنا إشارات المصادر لمن أقرأ القرآن، ومن كان مقرئا فاضلا، ماهرا ضابطا متقنا. ومن كان عالما بالقراءات وإماما في صـناعة الإقراء، ورأسـا في القراءات السـبع. ومن كان شـيخا فاضـلا عالي الرواية، ومقرئا مجودا، من كبار المقرئين وأئمة القراء المجودين، ومن كان من أهل العلم بالتفسير. ومن وصف باعتنائه بالحديث وروايته، ومعرفته بصحيحه وسقيمه. (ابن عبد الملك، ٢٠١٢، ج١، ص.٤٠٧، ٥٤٢ ـــ ج٣، ص.٢٣٦، ٥٧٥ ـــ ج٤، ص.٣١٠ ـــ ج٥، ص.٣٢٨؛ ابن القاضي، ١٩٧٣، ق١، ص.١١٦، ٢٦٤، ٢٧٥ ـــ ق٢، ص.٣٩١، ٤٠٩، ٤٨٠).

ولو جاز لنا الاستدلال بالضد، لدلل الباحث على دور العامة في النشاط الثقافي بقوله: أنه ما من علم اتهم المغاربة بإهماله إلا وكان العامة، أو الناس ــ على حد تعبير ابن منصور ــ هم الملام الأول على ذلك لا الدولة. وحسـبنا قول عبد الوهاب بن منصـور في معرض لوم بني وطنه على إهمالهم للتاريخ: "وهذا الإهمال ــ سواء قبل المرابطين أو بعدهم ــ له مظهران... وثانيهما: قلة العناية والاهتمام بالقليل الذي دُوِّنَ منه، فلم يتنافس الناس في انتسـاخه ودراسـته ونقده، ولم يخصـصـوا له كراسـي رتيبة للتدريس كما خصصوها للعلوم الأخرى" (المقري، ١٩٨٣، ص."و"). ولم يفتأت بن منصور على مواطنيه، فشكواه مجرد صدى لشكوى صاحب الذيل والتكملة (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م)، التي نقلها عنه صاحب مفاخر البربر، والتي يقول فيها: "وكان بفاس من الأعلام والأجلة أعيان الأنام، ما ليس في غيرها من بلدان الإسـلام، إذ هي قاعدة المغرب، ودار العلم والأدب، ولكن أهلها أهملوا ذكر محاسـن علمائهم، وأغفلوا تخليد مفاخر فقائهم". (مجهول، ٢٠٠٥، ص.١٧٢).

ولم يتوقف الأمر عند حد التاريخ. فكل علم قصـرت هِمة العامة عن طلبه أُهمل وترك. وحسـبنا الطب، فرغم ما أولاه عواهل المرابطين له من اهتمام، وما ناله المبرزين فيه لديهم ـــ كبنو زهر ـــ من حظوة (ابن أبي أصـيبعة، د.ت، ص.٥١٧، ٥١٩؛ المقري، ١٩٦٨، ج٢، ص.٢٤٥، ٢٤٧؛ ابن عبد الملك، ٢٠١٢، ج٣، ص.١٣). لم يتجاوز عدد المشـتغلين به رؤوس الأصـابع على حد تعبير **التواتي؟** (١٩٨٠، ص.٦٧) ربما لافتقادهم نية احتساب درسه، التي اقترنت لديهم ــ فقط ــ بتعليم الدين وتعلمه (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٤٧، ٢٠٠، ٢٩٤). أو لشعورهم شعورا انعكس أثره على أحلام بعضهم ورؤاهم، بأن تعلمه وترك قراءة القرآن وكتابة الحديث، ذنبا وجناية منهم على دينهم (ابن عبد الملك، ٢٠١٢، ج٤، ص.٥٣٦). أو لتنائي رغبتهم وقصـور همتهم دون مكابدة تعلمه. وإلا فما معنى أن يكون أبي مروان عبد الملك بن زهر (ت٥٥٧هـ/١١٧٢م) بين ظَهْرَانَيْهِم بمراكش، ثم يكون أبي الحكم ابن غَلَنْدُه (ت٥٨١هـ/١١٨٥م) هو من يحضر من أشبيلية (٥٣٥هـ/١١٤٠م)، ليَقرأ عليه كتابه: "الاقتصاد في إصلاح الأجساد" ويأخذه عنه، أثناء سجنه بها. (ابن الآبار، ١٩٩٥، ج٣، ص.٨١؛ ابن عبد الملك، ٢٠١٢، ج٣، ص.١٤).

وَيُرَدُّ على من أرجع قلة تراجم الأطباء، لضياع مصادر هاته الفترة من تاريخ المغرب (كنون، د.ت، ج١، ص.٧٢)، بأن ما ضـاع لم يحرمنا من كنوز من العلم كما يتخيل البعض (زنبير، ١٩٨٢، ص.٢٠٣). وإنما يرجع في الواقع لحقيقة أنه لم يكن يترجم إلا لمن بز من الأطباء وظهر واشتهر، لا لـ: "عوامهم، ومن يُعد منهم في أعداد القوابل"، على حد تعبير **الغبريني** (١٩٧٩، ص.٧٦). كأطباء مراكش الذين وصفهم أبو مروان عبد الملك بن زهر بـ: "المتطببين"، من تطبب الشـخص: أي مارس الطب وهو لا يعرفه (١٩٨٣، ص.٣٨٨؛ مختار، ٢٠٠٨، ج٢، ص.١٣٨٢)؛ وأطباء فاس الذين أُشير إليهم جُملة ــ بصيغة المجهول ـ إشارات تقطر ظناً واتهاما لكفاءتهم ونجاعة أدويتهم (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٣٢٣، ٢٦٩؛ الصومعي، ١٩٩٦، ص.١٢١؛ ابن قنفذ، ١٩٦٥، ص.٣١؛ ابن الحاج، د.ت، ج٤، ص.٣ ــ ٤)؛ وأطباء سلا الذين قال فيهم العامة ــ وإن

كنا لا ندري تحديدا لأي عصر ينتمي المثل ـــ : "طبيب سلاوي، ما يجرح ما يداوي". (الزجالي، ١٩٧٥، ج٢، ص.٨؛ المريني، ٢٠٠١، ص.٧٠).

ولعله مما يشفع للباحث عزوه قلة تراجم الأطباء إلى اقتصار العلماء على الترجمة للظاهرين فقط، قول **ابن جلجل**: "واقتصرنا على ذكر المشهورين الظاهرين الخادمين، وأضربنا عن ذكر من كان في زمانهم، ممن لم يوازيهم، ولا حل محلهم" (١٩٨٥، ص.١١٦). ولم تسري تلك القاعدة على الأطباء فقط، فقد انتهى **ابن حمادي** من خلال دراسته لفقهاء العصر المرابطي، إلى أن: "كتب التراجم والطبقات لم تترجم في الواقع إلا للذين طالت أعمارهم، فدرسوا وألفوا الكتب وعلت أسانيدهم، واستحقوا بالتالي مكانا ضمن هذه الكتب" (١٩٨٢، ص.٢١٦). وهي نفس النتيجة التي استخلصها **أعراب** من تراجم النيف وأربعين عَلَم سبتي، الذين أضافهم ابن حمادة لمختصره على ترتيب المدارك، والتي لخصها بقوله: "والظاهرة التي تطبع الفئتين معا [شيوخ ابن حمادة ومن في طبقتهم، وشيوخ شيوخه ومن إليهم] أنهم في أغلبهم الصفوة المختارة من رجالات العلم". (١٩٨٩، ص.٢٢٩).

بيد أن ما سلف لا يعني جهل العامة بالطب ـــ وبغيره من العلوم العقلية ـــ مطلقا؛ بل كان الطب من بين المعارف التي أدلى فيها العامة بدلوهم. حقا لم يكن كطب ابن باجة وابن زهر وغيرهما، ولكنه أيضا لم يكن كله قائما على الخرافة ومرتبط بالجن ومتعلق بالأولياء والأضرحة (بامي، ٢٠١٣، ص.١٤١). فقد كان للعامة طبهم الشعبي المستفاد بالتجربة والمكتسب بالخبرة، والمتوارث عن مشائخ الحي، وعجائز النسوان اللائي كن يُجدن من معرفة الأدوية ما لا يعرفه الطبيب (ابن زهر، ٢٠٠٧، ص.١٦٨؛ ابن خلدون، ٢٠٠١، ج١، ص.٦٥١). وكان لهم أطبتهم المتمثلين في العشابين (باعة الأعشاب الطبية)، والعطارين، والشرائبيين (صناع وباعة الأشربة أي الأدوية السائلة)، والقوابل، والحجامين، والفصادين، إلى آخر ذلك ممن تصدروا لبذل نصائحم وتقديم خدماتهم، فيما يتعلق بالحفاظ على الأرواح ورعايتها، ودفع الألم والمرض وخطر الموت عنها. ولا غرو فقد: "كشف الطب الشعبي عن إبداعات للعوام تَجاوز الكثير منها طور الخرافة، ومال إلى التجريب واكتساب الخبرات في علاج الأمراض والتداوي، مازال الكثير منها صالحا للتداول حتى عصرنا هذا". (إسماعيل، ٢٠٠٤، ص.١٩٢).

كذلك كان الفلك من بين العلوم التي كشفت مصادر الفترة محل الدراسة عن إلمام بعض العامة بشيء منها. والباحث لا يعني التنجيم الذي ارتبط ببعض الأشكال الغيبية كالعرافة والتنبؤ بالمستقبل، الذي كان يلاقي معارضة من طرف الفقهاء بسبب اختلاطه بعلم الغيب الإلهي (بوتشيش، ٢٠٠٥، ص.٩٧، ١٠٠). وإنما قَصد علم الفلك والنجوم الذي يمكن به معرفة طلوع الفجر، ولاسيما الصادق الذي عليه التعويل في الشرعيات. فقد كان أمره خفي لا يعرفه كل أحد، ومن ثم كان بحاجة لمن يوضحه ويظهره للعيان، لذلك جعل المنجمون له نجوما أسموها منازل القمر وعددها ٢٨ منزلة (القلقشندي، ١٩١٣، ج٢، ص.٣٤٠)، ليُعرف بها: "وقت السَحر وانتقال الفجر في المنازل، ويستدل بها على القبلة. ناهيك عما يترتب على معرفة ذلك من أحكام الصلاة والصيام". (المقريزي، ١٩٩٨، ج٤، ص.٣٢). ومن بين الإشارات المصدرية الدالة على إلمام بعض العامة بشيء من ذلك، قول أبو علي الهزرجي: "قال لي فلان: أتريد أن أعرفك بالمنازل لتعرف بها أجزاء الليل. فقلت له: أنت تعرف مني أني لا أعرف، فأي وقت أردت أن أوقظك فيه أيقظتك". (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٣٠٤).

تتوافر كذلك بعض الإشارات الدالة على كون الكيمياء من بين العلوم التي أدلى فيها العامة بدلوهم. من بينها إشارة صاحب عيون الأنباء، لابن نائلي الذي دخل بغداد، وأمعن بها في إقراء جماعة من الأكابر والأعيان: "الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها، وأتى على كتب جابر بأسرها"، بعدما أكد لهم أنه من أولاد المتلثمة الذين خروجوا من المغرب لما استولى عليه عبد المؤمن. (ابن أبي أصيبعة، د.ت، ص.٦٨٥).

كذا ورد بترجمة إسحاق بن محمد الهزرجي، أنه بعث برجل إلى أحد أصحابه ببلد رجراجة - بقبلة مراكش - مع خديم له؛ فطلب منه الخديم المرور بشخص من أهل هذه البلاد لزيارته، يقول الرجل: "فذهبت معه إليه، فتحدث معه ساعة، ثم قال لي: عند هذا الرجل دراهم صنعها، فما ترى في حملها إلى مراكش لنصرفها ونقتسمها أثلاثا لكل واحد ثلثها فإنه يعرف الكيمياء" (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٢٤٣). ونقل **ابن عذارى** في أخبار سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م خبر وصول رجلين أو ثلاثة إلى المهدية، مدعين: "أنهم من طلبة المصامدة، عارفين بصناعة الكيمياء". (١٩٨٣، ج١، ص.٣٠٥) وبعيدا عما اكْتُشِفَ بعد، فادعائهم - الذي لابد أنه كان فيه شيء من الواقعية ليتيسر قبوله – لا شك يعني اشتهار المصامدة بتلك الصنعة. وكان من بين ما جمعه محمد ـــ من أجوبه أبيه عياض وفتاوية ـــ بين دفتي كتابه الموسوم بمذاهب الحكام في نوازل الأحكام، إجابة أبيه عياض عن: "حكم شهادة صاحب الكيمياء". ما يعني أنه كان بسبتة من يمارس الكيمياء. (القاضي عياض وولده محمد، ١٩٩٧، ص٥٣؛ ابن شريفة، ١٩٢٢، ص.٢٣٨).

أخيرا كان من بين العوامل التي فرضت للعامـــة دورا في الثقافة، أنهم كانوا أملك لتطبيق رؤيتهم الثقافية من الدولة وفقهائها. بل وكانت رؤيتهم تلك أرعى لدى الدولة من رؤية الدولة لديهم. والدليل أن تربص الفقهاء بالمتصوفة واستعدائهم الدولة عليهم (بوتشيش، ١٩٩٣، ص.١٥٠ - ١٥٥؛ بنسباع، ١٩٩٩، ص.٩٧ – ١٠٦؛ البختي، ٢٠٠٥، ص.٥٣)، لم يمنع المتصوفة – المنتمين لطبقة العامة – من تدريسهم للتصوف (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٤٧؛ التميمي، ٢٠٠٢، ق٢، ص.١١٦؛ ابن قنفذ، ١٩٦٥، ص.٢٧)، ولا من التأليف فيه (ابن عبد الملك، ٢٠١٢، ج٣، ص.١٧٦ ـــ ج٤، ص.١٩٨؛ ابن عيشون، ١٩٩٧، ص.٦٦)، وانتساخ كتبه (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.٩٦، ٢١٤، ٢٧٠)، والاعتكاف على قراءته (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٦٩). ولا منع العامة من التحلق حولهم، للانتهال من معينهم في التصوف وغيره (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص.١٤٧، ٢٢٨). في نفس الوقت الذي حاربت فيه الدولة الفلاسفة والمتكلمين المصطبغة أفكارهم وكتاباتهم بالفلسفة اليونانية (ابن خلدون، ٢٠٠١، ص.٥٩١، ٦٥٣)، بل وربما قتلتهم، لمجرد التقرب إلى العامة الذين كانوا ينافرون هذه العلوم، ويعادون من ظهرت عليه، وينسبوه إلى الزندقة. (المقري، ١٩٦٨، ج١، ص٢٢١؛ السبكي، ١٩٦٩، ج٦، ص.١١٦؛ المراكشي، ١٩٦٣، ص٢٣٦ - ٢٣٧).

- الخاتمة:

قصاري القول أن طبقة العامة التي شكلت أحد فئات مجتمع المغرب الأقصى في عصر المرابطين، كانت تشتمل في بنيتها على عناصر عدة: رعاة وفلاحين، وصناع وحرفيين، وتجار صغار، ومستنيرين أسهموا في أمِّ بني طبقتهم وقيادة شعائرهم وكتابة وتوثيق عقودهم، إلى آخر ذلك من المهام التي اضطلعوا بها، والتي كان من بينها تعليمهـــم. تلك المهمة التي قاموا بها احتسابا أو مقابل أجر يسير. وهو ما دفع الباحث للاعتقاد في دور العامة في نشـــر العلم وإثراء الفكر وإزخام المعرفة. وهو الدور الذي تأتى لهم بفضل إصرار بعضهم على تعليم أبنائهم رغم ضيق ذات يدهم، وإصرار البعض الآخر على التعلم حتى ولو كان في ذلك تحديا لرغبة آبائهم. وبفضـــل تكفل العلماء والمشـــايخ المنتمين لذات الطبقة بتعليم هؤلاء المتشوقين للعلم والمتطلعين للمعرفة احتسابا. ولحماستهم تلك، لم يقتصر اهتمامهم على علم بعينه، بل درســـوا ونبهوا فهي جل ما كان يعرف وقتئذ من علوم دينية. ليس هذا فقط بل وكانت لهم خبرتهم الكيميائية، وملاحظاتهم الفلكية، ومعارفهم الطبية المستفادة بالتجربة والمكتسبة بالخبرة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١: ابن الآبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله، (١٩٩٥م)، التكملة لكتاب الصـــلة، تحقيق: عبد الســـلام الهراس، د.ط، بيروت، لبنان، دار الفكر.
٢: إخوان الصفا (١٤٠٥هـــ) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، د.ط، قـــم، إيران، مركز النشر ــ مكتب الإعلام الإسلامي.
٣: الإدريســـي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (٢٠٠٢م)، نزهة المشـــتاق في اختراق الآفاق، د.ط، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية.
٤: ابن الأزرق، أبي عبد الله (٢٠٠٨م)، بدائع السـلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سـامي النشـار، ط١، القاهرة، مصر، دار السلام للنشر.
٥: ابن أبي أصـــيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاســـم، (د.ت)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، د.ط، بيروت، لبنان، دار مكتبة الحياة.
٦: ابن بشـكوال، أبو القاسـم خلف بن عبد الملك بن مسـعود، (٢٠١٠م)، الصـلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، تونس، دار الغرب الإسلامي.
٧: التميمي، أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم، (٢٠٠٢م)، المسـتفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، ط١، تطوان، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان ـ جامعة عبد المالك السعدي.
٨: التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد (١٩٨٩م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، د.ط، طرابلس، ليبيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية.
٩: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (د.ت)، البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، ط٥، القاهرة، دار المعارف.
١٠: الجزيري، أبي القاسم علي بن يحيى بن القاسم (١٤٢٢هـــ)، المقصد المحمود في تلخيص العقود، تحقيق: فايز بن مرزوق بن بركي السلمي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية.
١١: الجزنائي، علي، (١٩٩١م)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، ط٢، الرباط، المغرب، المطبعة الملكية.
١٢: ابن جلجل، أبي داود سـليمان بن حســان، (١٩٨٥م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سـيد، ط٢، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
١٣: ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد، (د.ت) المدخل، القاهرة، مصر، دار التراث.
١٤: ابن حبوس، عبد الله بن بلكين بن باديس، (٢٠٠٦م)، كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحرير: علي عمر، ط١، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية.
١٥: ابن حيون، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور (١٩٩٦م)، المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، ط١، بيروت، لبنان، دار المنتظر.
١٦: ابن خلدون، عبد الرحمن، (٢٠٠٠م)، تاريخ ابن خلدون المســـمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، مراجعة: سهيل زكار، د.ط، بيروت، لبنان، دار الفكر.
١٧: ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد، (١٩٩٦م)، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، د.ط، دمشق، سوريا، دار كنان.

١٨: الزجالي، أبي يحيى عبيد الله بن أحمد، (١٩٧٥م)، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: محمد بن شريفة، د.ط، المغرب، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.
١٩: ابن أبي زرع، علي بن عبد الله (١٩٧٢م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط، الرباط، المغرب، دار المنصور للطباعة والوراقة.
٢٠: ابن زهر، أبو مروان عبد الملك، (١٩٨٣م)، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: ميشال خوري، ط١، دمشق، سوريا، دار الفكر.
٢١: ـــــــــ، (٢٠٠٧م)، التيسير في المداواة والتدبير، د.ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
٢٢: ابن الزيات، أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، (١٩٨٤م)، التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التادلي، ط١، الرباط، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ـ جامعة محمد الخامس.
٢٣: السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (١٩٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ـ محمود الطناحي، ط١، القاهرة، مصر، دار إحياء الكتب العربية.
٢٤: السراج، أبي عبد الله محمد بن محمد، (١٩٨٤م)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، د.ط، بيروت، لبنان، دارالغرب الإسلامي.
٢٥: ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، (١٩٩٥م) المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٤، مصر، دار المعارف.
٢٦: السقطي، أبي عبد الله محمد بن أبي محمد، (١٩٣١م)، في آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، د.ط، باريس، مطبعة إرنست لورو.
٢٧: السملالي، العباس بن إبراهيم، (١٩٩٣م)، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة: عبد الوهاب بن منصور، ط٢، الرباط، المغرب، المطبعة الملكية.
٢٨: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (١٩٩٦م)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
٢٩: الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (١٩٩١م)، نكت الهميان في نكت العميان، د.ط، مصر، المطبعة الجمالية.
٣٠: الصومعي، أحمد التادلي، (١٩٩٦م)، المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، تحقيق: علي الجاوي، د.ط، أكادير، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة ابن زهر.
٣١: الطرطوشي، أبي بكر محمد بن الوليد الفهري، (١٩٩٤م)، سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، ط١، القاهرة، مصر، الدار المصرية اللبنانية.
٣٢: العباسي، الحسن بن عبد الله، (١٩٨٩م)، آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، د.ط، بيروت، لبنان، دار الجيل.
٣٣: ابن عبد الملك، أبي عبد الله محمد بن محمد،(٢٠١٢م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ط١، تونس دار الغرب الإسلامي.
٣٤: ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد، (١٩٨٣م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، ط٣، بيروت، لبنان، دار الثقافة.
٣٥: ـــــــــــــــــــــــــــــــ، (١٩٨٥م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ قسم الموحدين، تحقيق محمد زنبير وآخرين، ط١، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

٣٦: ابن العريف، أبو العباس أحمد (١٩٩٣م)، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، تحقيق: عصمت دندش، ط١، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
٣٧: عياض، أبو الفضل عياض بن موسي، (١٩٨٢م)، الغنية ـــ فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، ط١، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
٣٨: ـــــــــــــــــــــــــــــ، (١٩٨٢م)، الغنية ـ فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، ط١، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
٣٩: عياض، أبو الفضل، ابن عياض، محمد، (١٩٩٧م)، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد بن شريفة، ط٢، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
٤٠: ابن عيشون، أبي عبد الله محمد (١٩٩٧م)، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق: زهراء النظام، الرباط، المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة محمد الخامس.
٤١: الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد الله، (١٩٧٩م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط٢، بيروت، لبنان، دار الآفاق الجديدة.
٤٢: الفاسي، أبي السعود عبد القادر بن علي بن يوسف، (٢٠٠٧م)، الأجوبة الصغرى، تحقيق: علي بن أحمد الإبراهيمي، ط١، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٤٣: ابن القاضي، أحمد (١٩٧٣م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، د.ط، الرباط، المغرب، دار المنصور.
٤٤: ابن القطان، أبي محمد حسن بن علي بن محمد (١٩٩٠م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، ط١، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
٤٥: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (١٩١٣م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، د.ط، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية.
٤٦: ابن القلانسي، أبي يعلي حمزة، (١٩٠٨م)، ذيل تاريخ دمشق، د.ط، بيروت، لبنان مطبعة الآباء اليسوعيين.
٤٧: ابن قنفذ، أبي العباس أحمد الخطيب، (١٩٦٥)، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي ـ أدولف فور، د.ط، الرباط، المغرب، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ـ جامعة محمد الخامس.
٤٨: مجهول، (د.ت)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول، د.ط، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة.
٤٩: مجهول، (١٩٧٩م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل ذكار ـــ عبد القادر زمامة، ط١، الدار البيضاء، المغرب، دار الرشاد الحديثة.
٥٠: مجهول، (٢٠٠٥م)، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، الرباط، المغرب، دار أبي رقراق.
٥١: المرادي، أبي بكر محمد بن الحسن، (٢٠٠٣م)، الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق: محمد حسن محمد ـ أحمد فريد المزيدي، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
٥٢: المراكشي، عبد الواحد بن علي، (١٩٦٣م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، د.ط، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٥٣: المسعودي، أبي الحسن بن علي، (٢٠٠٥م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة: كمال حسن مرعي، ط١، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية.

٥٤: المقري، أحمد بن محمد، (١٩٦٨م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، بيروت، لبنان، دار صادر.
٥٥: ـــــــــــــــــــــــــــــ، (١٩٨٣م)، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط٢، الرباط، المغرب، المطبعة الملكية.
٥٦: المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، (١٩٩٨م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: خليل المنصور، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
٥٧: ابن المؤقت، محمد بن محمد بن عبد الله (٢٠١١م)، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، مراجعة: أحمد متفكر، ط٣، مراكش، المغرب، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر.
٥٨: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، (١٤١٤هـ) لسان العرب، ط٣، بيروت، لبنان، دار صادر.
٥٩: النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، (١٩٨٣م)، تأريخ قضاة الأندلس، ط٥، بيروت، لبنان، دار الآفاق الجديدة.
٦٠: الوزاني، أبي عيسى سيدي المهدي، (١٩٩٨م)، المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، تحقيق: عمر بن عباد، د.ط، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ثانيا: المراجع:

٦١: إسماعيل، محمود ، (٢٠٠٤م)، المهمشون في التاريخ الإسلامي، ط١، القاهرة، مصر، دار رؤية.
٦٢: أوليري، دي لاسي، (١٩٨٢م)، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة: إسماعيل البيطار، د.ط، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني.
٦٣: البختي، جمال علال، (٢٠٠٥م)، الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، ط١، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية.
٦٤: بنسباع، مصطفى، (١٩٩٩م)، السلطة بين التسنن والتشيع ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط١، تطوان، المغرب، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية.
٦٥: بوتشيش، إبراهيم القادري، (١٩٩٣م) المغرب والأندلس في عصرالمرابطين المجتمع ـ الذهنيات ـ الأولياء، د.ط، بيروت، لبنان. دار الطليعة.
٦٦: ـــــــــــــــــــــ، (١٩٩٨م) مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ١٩٩٨، بيروت، لبنان. دار الطليعة.
٦٧: بروفانصال، لافي، (١٩٤١م) مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، د.ط، الرباط، المغرب، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية.
٦٨: بوركبة، السعيد، (١٩٩٦م)، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، د.ط المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٦٩: التازي، عبد الهادي، (٢٠٠٠م)، جامع القرويين، ط٢، الرباط، المغرب، دار نشر المعرفة.
٧٠: التريكي، حامد، (١٩٨٩)، المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين ـ ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، ط١، مراكش، المغرب مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش.
٧١: الجراري، عباس، (١٩٩٣م)، قضايا مرابطية في منظور بعض المستشرقين ـ مشاركة ضمن ندوة: المغرب في الدراسات الاستشراقية، د.ط، مراكش، المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

٧٢: السائح، الحسن، (١٩٨٦م)، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط٢، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة.
٧٣: الكتاني، يوسف، (د.ت)، مدرسة الإمام البخاري، د.ط، بيروت، لبنان، دار لسان العرب.
٧٤: كنون، عبد الله، (د.ت)، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط٢، د.م.
٧٥: مختار، أحمد، (٢٠٠٨م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، القاهرة، مصر، عالم الكتب.

ثالثا: الدوريات العربية:

٧٦: أعراب، سعيد، (١٩٨٩م)، جوانب من الحياة الفكرية بسبتة في عهد البرغواطيين والمرابطين من خلال مختصر المدارك لابن حمادة، مجلة كلية الآداب بتطوان، (عدد ٣)، ص٢٢٩.
٧٧: بامي، جمال، (٢٠١٣م)، المعرفة النباتية والطبية بالمغرب بين التراث العلمي والعلاج التقليدي، مجلة الإحياء، (عدد ٣٩ ـ ٤٠)، ص١٤١.
٧٨: التواتي، عبد الكريم، (١٩٨٠م)، الأوضاع الثقافية والأدبية في عهد المرابطين، مجلة دعوة الحق، (عدد ٢٠٩)، ص٦٧.
٧٩: ـــــــــــــــ، (١٩٨٣م)، الأبعاد الثقافية لعهد الموحدين ـ هدف التقليد في الأدب المغربي، مجلة دعوة الحق، (عدد ٢٣٢)، ص٧٥.
٨٠: دوزي، رينهارت، (١٩٧٣م)، المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، مجلة اللسان العربي، مجلد١٠ (عدد٣)، ص١٧٩ ـ ١٨٠.
٨١: زنيبر، محمد، (١٩٨٢م)، سبتة ـ مدينة رائدة في تاريخ الثقافة المغربية، مجلة المناهل، (عدد ٢٢)، ص٢٠٣.
٨٢: ابن شريفة، محمد، (١٩٢٢م)، أصداء الحياة اليومية في سبتة المرابطية، مجلة المناهل، (عدد ٢٢)، ص٢٣٨.
٨٣: الشيخ عدة، (٢٠١٤م)، جهود الفقيه عبدالله بن ياسين في تكوين العصبية الدينية المرابطية، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية (ع٢)، ص٤٢ ـ ٤٥.
٨٤: الكتماني، عبد العزيز، (١٩٩٤م)، دور الجامعة اليوسيفية في تأسيس ثقافة مغربية خلال العهد المرابطي، حوليات كلية اللغة العربية بمراكش، (ع٣)، ص١٣٩.
٨٥: المريني، مأمون، (٢٠٠١م)، اليهود في الأمثال المغربية، مجلة فكر ونقد، (عدد ٣٥)، ص٧٠.

رابعا: الرسائل العلمية:

٨٦: ابن حمادي، عمر، (١٩٨٢م)، الفقهاء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تونس، تونس.
٨٧: ابن الذيب، عيسى، (٢٠٠٩م)، المغرب والأندلس في عصر المرابطين ـ دراسة اجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراة غير منشورة، ، جامعة الجزائر، الجزائر.
٨٨: عبد الرءوف، كريمة، (٢٠٠٥م)، عامة مدينة فاس حتى نهاية عصر الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر.

٨٩: عيساني، حسين، (٢٠١٢م)، دور الأوقاف الإسلامية وأثرها الاقتصادي والاجتماعي في الحضارة الإسلامية عهد المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر (١) بن يوسف بن خدة، الجزائر.
٩٠: الهرفي، سلامة محمد سلمان، (١٩٨٢م)، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية.
٩١: الوداني، فتحية محمد خير، (٢٠١٢م)، الحياة الثقافية في فاس في عصر المرابطين، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر.

The cultural role of the public in The Far Morocco in the age of Almoravides 448-541 AH / 1056 – 1146 EC

Amr El Sawy Mohamed
Master Degree - The department of history, Faculty of Women for Arts, Science and Education, Ain Shams University - Egypt
academy_azhary@yahoo.com

Prof. Dr. Abdelrahman Bashir
Professor of History and Islamic Civilization – History Department
Faculty of Arts - Zagazig University - Egypt
abdelrhman1957@hotmail.com

Dr. Amal Mohamed Hassan
Assistant Professor of Islamic History – History Department
Faculty of Women for Arts, Science & Education ,Ain Shams University - Egypt
dr.amalmohamed49@yahoo.com

Abstract

The ancient men of lettersand their followers have taken the material criterion of earning money as a basis of division classification , so they placed the public – as they lack fortune : the main factor in forming the social position of the individual and the determination of his division identity – at the bottom of the classification. They have taken from their position at the foot of the social ladder a justification of prejudice on them and accusing them of a mass of accusations one of them is ignorance, as they imagined that the public may be anything. A clever maker,a distinguished craftsman or a gifted trader , but not a scientist or a student. This is what the researcher will try to refute in the next pages , and asserting through it that the public – on the contrary –their classrooms included distinguished students ,unique scientists who not only contributed in spreading the arts of science ,but also in the sponsorship of the sons of their class and adopting them scientifically apart from the state which was ,mostly ,more keen on recalling the senior writers of Andalus ,being helped byIts doctors ,benefited from the experience of its engineers and industrialists , from its care to adopt a scientific institution and sponsoring its students like systematic schools which the state adopted in the Islamic East or Egypt during the same era .

Keywords: the public –Almoravides – The Far Morocco – science – the cultural position – the scientific role.